**غريب الحديث و الغريب من الحديث :**

قبل الخوض في مضمون الموضوع يجدر بنا أولا: أن نميز بين نوعين من العلوم التي تناولتها الكتب المؤلفة في علوم الحديث:

**أ\_الغريب من الحديث:** وهو الحديث الذي يتفرد به بعض الرواة، إما في المتن وإما في إسناده، وعليه يوصف الحديث بأنه حديث غريب، وهو فن ينتمي إلى علوم الحديث.

**ب\_ غريب الحديث:** وهو توضيح ما جاء في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديث صحابته وتابعيهم، من الألفاظ الغريبة والغامضة، والتعريف بمعانيها والوقف على تصريفها واشتقاقها، وهذا العلم ينتسب إلى علوم اللغة . وإلى هذا العلم ينتسب كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الذي نحن بصدد دراسته.

عرف العرب قبل الإسلام لغات ولهجات كثيرة، مرت بمراحل متعددة حتى اكتملت أسسها، التي رصدناها في هذا التراث الشعري المنسوب إلى العصر الجاهلي : من مدح وهجاء ونسيب ورثاء...الخ ، ومع ذلك قيل:" ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله" ، لأن العرب قبل نزول القرآن كانوا يعتمدون على مكان محفوظ في صدور الرجال ، لذلك لم يتركوا كتابا مدونا معلوما، ومن أجل ذلك يمكن القول أن لولا القرآن والسنة النبوية لاندثرت اللغة العربية بموت أهلها، أو ضعفت بضعفهم، كما هو الحال مع اللغة المصرية القديمة واللغة الآشورية وغيرها من اللغات واللهجات القديمة .

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بلسان عربي مبينٌ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم، حيث بات أفصح العرب لسانا، جعلها محفوظة بحفظهم، و في مقابل ذلك رصد أن القرآن حفظ بعض اللهجات العربية، ويؤكد هذه الحقيقة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأيّ ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا " ،** والكلام نفسه يقال في حديث رسول الله لأنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم الخاصة، و قد أدى اختلاف هذه اللهجات إلى صعوبة الفهم بين القبائل، لذلك ظل الصحابة يسألونه عن معنى الألفاظ الغريبة التي يتلفظ بها، فيفسرها لهم رسول الله، ومن أوثق الشواهد على ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه مخاطبا رسول الله **: "يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك** **تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال :أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيت في بني** **سعد.**

نلحظ أن الغريب من الحديث كان موجودا في وقت مبكر، إلا أن ذلك العصر مازال عصرا للثقافة الشفهية . ونتيجة للتطور الذي شهده العالم الإسلامي فيما بعد ولاسيما أواخرالقرن الثاني، جعل علماء غريب الحديث يعتمدون اعتمادا كليا على القرآن الكريم أو السنة النبوية، أو على فهم أهل اللغة في شرح الألفاظ الغريبة، وعلى ذلك فإن القرآن و الحديث كلا بطريقته، كان لهما دور أساسي في نشأة علم غريب الحديث .

**ب. الفتح الإسلامي ودوره في نشأة غريب الحديث ::**

أدى الفتح الإسلامي إلى اتساع الرقعة الإسلامية، وبالضرورة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأعجمية، كالفرس والروم والأنباط والبربر، فاجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات ، ولهذا نشأ الجيل الثاني في الإسلامو اضطربت السلائق ، وتأثرت اللغة العربية بغيرها من لغات الأمم المجاورة للعرب، لذا دفع العلماء إلى التفكير في كيفية حفظ اللغة العربية من التحريف والتزييف، فوضع أبو الأسود الدؤلى)ت 69 ه/ 688 م( أصول النحو ، وتناولوه الناس ولاسيما الأعاجم والدؤلي حى أصبح يعرف بأنه علم الدؤلي" ، وبعد ضبط الكلام من اللحن، اشتدت الحاجة إلى ضبط ألفاظ الحديث لكثرة شيوع الألفاظ الغريبة، وصعب على كثير من المسلمين فهم ما جاء في الحديث النبوي، فنهض العلماء وأهل اللغة والمحدِّثون إلى وضع الكتب في هذا الفن، منذ افتتاح القرن الثاني الهجري فتتبعوا الألفاظ الغريبة في متن الحديث والآثار وبدؤوا التأليف فيها ، وهذا ما جعل الخطابي يقول:" ثم إن الحديث لما ذهب أعلامه بانقراض القرون الثلاثة واستأخر به الزمان، فتناقلته أيدي العجم وكثرت الرواة وقل منهم الرعاة وفشا اللحن، ومرنت عليه الألسن اللكن، رأى أولو البصائر والعقول، والذابون عن حريم الرسول أن من الوثيقة في أمر الدين والنصيحة لجماعة المسلمين، أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه، وكشف المغدف من قناعه وتفسير المشكل من معانيه... وأن يدونوه في كتب تبقى على الأبد وتخلد على وجه المسند،لتكون لمن بعدهم قدوة وإماما ومن الضلال عصمة وأمانا."

شهدت العراق في العهد العباسي الأول، نهضة علمية كبيرة لم يشهدها العالم الإسلامي من قبل، حيث تظافرت عدة عوامل أهلته لذلك، ولعل من هذه العوامل التي ساعدت في تسارع وتيرة نهضتها العلمية نذكر على سبيل المثال لا للحصر :

**أ.** انتقال الخلافة من الشام إلى العراق وما نتج عنها من اختلاط الأمم الإسلامية بعضها ببعض،مما أدى إلى الأخذ والعطاء، ومن هنا كانت العراق مهدا لنشأة العلوم العربية لأن حاجة البلاد الأعجمية إليها أشد من حاجة البلاد العربية، فما حاجة عرب البادية والحجاز إلى النحو واللغة وهم يتكلمون بها صحيحة عن سليقة .

**ب.** اهتمام خلفاء العباسينٌ بالعلم، فهذا أبو جعفر المنصور) 158 ه/ 775 م( ، كان يبحث عن مكامن العلم للوقوف على آداب الأولين و أهل الكتابة على تدوين الكتب لنشر العلوم بين الناس، حيث قيل في خلافته: "كان أول عهد العرب بالعلم في خلافة أبي جعفر" 19 ،هارون الرشيد ) 193 ه/ 809 م( عن هذا الطريق، فكان يتخذ للعلماء والأدباء والشعراء مناظرة وعرض وأدب وصناعة كما كان يصنع أبوه ... وهلم جرا من خلفاء بني العباس الذين ظلوا يهتمون بالعلم والآداب حيث اكتملت أسس كل العلوم تقريبا .

**ج.** ازدياد صناعة الورق حيث أصبحت عملا تجاريا متوسعا . حيث أدى وجودها إلى نشوء صناعة الوراقة وهي نسخ الكتب وتصحيح متونها ، أدت هذه العوامل وعوامل أخرى إلى خلق نهضة علمية كبيرة فكتبوا في -جميع الفنون والعلوم، حيث وضع في هذا العصر )العباسي الأول ( مثل: غريب القرآن ، ووضعت اللغة وعلومها ، ودونت أشعار العرب...وغيرها من العلوم ، وفي هذا العصر كذلك نشأ علم غريب الحديث، الذي ظهرت بدايته عند علماء البصرة، وقيل أن أول من ألف في هذا الفن أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي )ت 209 ه/ 824 م(،الذي جمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتابا ضخما وقيل أ ن أول من صنف هو: أبو الحسن النضر بن شميل الدازني ت 203 ه/ 819 م ( 27 ، ثم جمع بعد ذلك عبد الملك بن قريب الأصمعي)ت 216 ه/831 م(كتابا في غريب الحديث ، وكتاب محمد بن الدستن المعروف بقطرب )ت 206 ه/821 م ، وغيرهم من أئمة اللغة والفقه، إلا أ ن هذه الكتب على كثرة عددها إذا حصرت كانت كالكتاب الواحد ، ولا يعود هذا لجهلهم بغريب الحديث، وإنما كان ذلك كما أخبرنا به ابن الأثير) 606 ه/ 1210 م( في كتابه "النهاية في غريب الحديث والأثر": أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، فإنه يكون قليلا ثم يكثر ، والأمر الثاني أ ن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عم ، لذلك يشفع لؤهلاء أنهم نهجوا الطريق ،